

عنجر.. مدينة أموية دمرتها قوّتها

معالم عربية

14 سبتمبر 2009 12:53 مساء

قراءة 6 دقائق

استمع

يقول الدكتور حسان سركيس في دراسة أعدت لوزارة السياحة اللبنانية بعنوان عنجر، ان هذه المدينة كانت نموذجاً لما كانت عليه المحطات التجارية الكبرى التي سجلها التاريخ القديم والوسيط، وهي تشكل من خلال موقعها عقدة رئيسية تلتقي عندها الطرق التي كانت تصل مناطق سوريا الشمالية بشمال فلسطين وتلك التي تصل الساحل بغوطة دمشق، وهي تختلف عن سواها من المدن الأثرية في لبنان في كونها تبدو وكأنها منشأة عابرة لم تعش أكثر من بضع عشرات من السنين في بدايات القرن الثامن للميلاد، وباستثناء مسجد بعلبك الأثري الكبير الذي بني في الفترة عينها فإن عنجر تشكل الموقع اللبناني الوحيد الذي يعود تاريخ إنشائه الى العصر الأموي في تلك الحقبة الزاهرة في تاريخ الحاضرة العربية.

ويشير سركيس الى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك استعان في عمارتها بعدد من المهندسين والحرفيين والصنّاع البيزنطيين والسوريين العارفين بتقاليد العمارة والزخرفة القديمة الموروثة منذ أيام الرومان والإغريق، وقد استخرج هؤلاء الحجارة اللازمة للمشروع من المقالع المجاورة كمقالع بلدة كامد اللوز، كما نقلوا أعداداً من العناصر البنائية الأخرى كالأعمدة وقواعدها وتيجانها وتعتيباتها من بقايا الأبنية الرومانية والبيزنطية التي عثروا عليها في جوار المنطقة.

الموقع التاريخي

يرى الباحث المهندس المعماري نبيل يوسف نجم أن مدينة عنجر ومحيطها موقع تاريخي مهم، فليس في العالم العربي أو أي مكان آخر من العالم مدينة أموية بحجم مدينة عنجر، فكل الدراسات التي وضعت حتى الآن أظهرت ان القصور الأموية أو المدن أو القرى في عمان أو بادية الشام، قد يكون لها التصميم نفسه او المحتويات أو العناصر المشابهة ولكن ليس لها الحجم ذاته وتلك الأهمية التجارية.

وتقع مدينة عنجر الأموية حالياً على بعد حوالي 50 كلم شرق بيروت، و2 كلم جنوب شرق طريق بيروت دمشق الدولي الحالي، وتبعد عن دمشق حوالي 60 كلم على الطريق ذاتها، و40 كلم عن بعلبك وهي ترتفع عن البحر حوالي 885 متراً، وتقع في البقاع الأوسط على طرف أسفل السلسلة الشرقية لجبال لبنان، والمدينة هي على الطريق الداخلية الرئيسية التي تربط بعلبك بالجنوب، وتتميز عن سواها بوفرة المياه فيها، فعلى بعد حوالي 5.2 كلم الى الشمال الشرقي يوجد أحد أكبر ينابيع نهر الليطاني.

وكانت مدينة عنجر في القديم تقع على تقاطع طرق مهمة تصل مدن حمص وبعلبك بمدينة طبريا في فلسطين، واسم المدينة مشتق من اسم عين وهو يدل على نبع الماء، وجرّ وهو إما اسم علم وإما مشتق من فعل جرّ أي المياه الجريرة أو الجرارة، وكما تدل النصوص، كان في منطقة عنجر مستنقعات أو بحيرات حتى كانت الناس تحيد عنها لتمر بالمدينة.

ويستند العالم جان سوفاجيه ليؤكد الطابع الأموي للمدينة على ثلاثة براهين:

الأول: التطابق في الشكل الهندسي والتقنية بين آثار مدينة عنجر وقصر الحير بالقرب من تدمر حيث المربع الذي يبلغ قياس أبعاده 175 م والمدعوم بأبراج دفاعية مستديرة، بالإضافة الى أربعة أبواب، كل باب في وسط كل ضلع، وبين عنجر ومدينة الرصافة جنوب الفرات التي أسسها الخليفة هشام بن عبدالملك سنة 728 لتكون عاصمة له، وبينها وبين مدينة الرملة التي أسسها الخليفة سليمان بن عبدالملك والتي تحوي مربعاً في كل ضلع من أضلاعه باب مفتوح في الوسط، وبينها وبين قصر المشتى في صحراء الأردن الذي أسسه الخليفة الوليد الثاني الذي يتكون أيضاً من مربع يساوي ضلعه 147 متراً ويحيط به أبراج دفاعية.

الثاني: ورود نص للمؤرخ البيزنطي يتوفان ومقطع في حولية سريانية يفيد بأن الخليفة الوليد الأول قد أسس في بداية القرن الثامن الميلادي في منطقة بعلبك مدينة اسمها عين جرّة.

الثالث: هو ما ذكر في كتابات تسمى أوراق البردي اليونانية في افروديت عن دفع أتعاب لعمال عملوا في عين جرّة، وهذا ما يؤكده موريس شهاب في دراسته عن الأمويين ويضيف انه ورد في المخطوطة السريانية ان العرب صكوا نقوداً مكتوب عليها ومن دون صورة ان الوليد قد أسس مدينة اسمها اعين جرة في منطقة بعلبك.

إذاً، لا لبس علمياً وتاريخياً، بناء على قول المهندس نبيل نجم، أن الوليد الأول ابن عبد الملك الأموي (705 -715) هو مؤسس مدينة عنجر بالقرب من العين الغزيرة أحد ينابيع الليطاني.

وصف المدينة

شكل المدينة مستطيل، طوله 370 م وعرضه 310 م، اتجاهها مطابق للاتجاهات الأربعة، فطولها يتجه جنوباً وشمالًا وعرضها شرقاً غرباً، ويتخلل السور أبراج دفاعية نصف دائرية، وذلك في الوجه الخارجي له، وعند الزوايا الأربعة للسور المحيط بالمدينة يوجد أربعة أبراج دائرية وفي كل برج غرفة داخلية كانت تستعمل لدعم الحراسة، وعرض السور حوالي مترين، وعلوه كان حوالي سبعة امتار، وكان على رأس الأبراج 36 برجاً مسننات دفاعية.

وفي أبراج الدفاع عند المداخل الأربعة، والأبراج الأخيرة ما قبل الدائرية في الزوايا الأربع، يوجد درجان في كل جانب يصلان الى أعلى السور، وعرض السور في هذه النقاط 375 سنتم، ويتوسط كل حائط خارجي باب يفتح على الطريقين الرئيسيين اللذين يتوسطان المدينة، ولكل باب برجان نصف دائريين يحيطان به عرض كل باب 3 أمتار وفي الحجر فتحات كانت لتسنيده.

الطريقان شرقاً غرباً وشمالًا جنوباً، يصلان كل بابين ببعضهما بعضاً مباشرة، وفي تقاطع الطريقين، في نصف المدينة بالذات تنتصب قاعدة مربعة هي عبارة عن أربع قواعد تحمل كل قاعدة أربعة أعمدة ممشوقة ونوعاً من أقواس النصر المستقيمة، وفي وسط الطريق فتحات مربعة 65 * 65 سنتم بعمق حوالي 3 أمتار لتصريف المياه الى خارج أسوار المدينة، على جانبي كل طريق محلات تجارية يصل مجموعها الى 600 محل تتخلل الطريقان طرقات فرعية صغيرة بالنظام نفسه وهذان الطريقان هما اللذان يقسمان المدينة الى أربعة أجزاء أو أحياء متساوية.

أبنية وقصور

في الحي الشمالي الشرقي من المدينة يوجد القصر الصغير وحمام قرب المدخل الشمالي، وفي الحي الشمالي الغربي حمام صغير وأساسات لم تنقب بعد، ولا تعرف هويتها بشكل واضح، وأجزاء حيطان كنيسة لها حنية نحو الشرق وآثار معصرة ومنازل سكنية.

وفي الحي الجنوبي الشرقي يوجد القصر الكبير وجامع، وفيه مسجد صغير مربع تقريباً يدخل إليه جنوباً من الباب ذاته الذي كان الأمير يدخل منه، أما في الحي الجنوبي الغربي فتوجد المنازل السكنية.

وتقدر مساحة مدينة عنجر بحوالي 114700 متر مربع، وأرضها ترتفع من الشمال للجنوب الى علو يصل الى 13 متراً، وما يميز الطريقين بالرغم من هذا الانحدار هو الأروقة المكونة من أعمدة مختلفة التيجان أمام المحلات التجارية، والتي تنحدر بالانسياب نفسه.

وتتوزع المساكن في حارات تفصل بينها أزقة متعامدة تتصل بالطريقين الرئيسيين، وتتوزع تلك المساكن في وحدات سكنية مكونة من بيتين أو أربعة أو ستة، ويتكون التصميم الأساسي للوحدة السكنية الواحدة من صحن غير مسقوف يحيط به عدد من الغرف.

وهذا التصميم كما يقول الباحث نجم، عرفه أهل منطقة سوريا واستعملوه منذ أواسط القرن الخامس الميلادي، ففي منطقة سوريا الشمالية حيث توجد المدن القديمة بيوت لها التصميم ذاته وكذلك في الوحدات السكنية الموجودة في قصور الأمويين والغساسنة في بوادي الشام والأردن، وهذا التصميم موجود في قصر القسطل وقصر حرّانه في بادية الشام وقصر الطوبة في بادية الأردن وقصر المشتى في البادية نفسها.

يرى الباحث نجم أن أسباب تأسيس عنجر متعددة ومنها:

جذب القوافل البدوية ومحاولة أن تستسيغ العيش في مدن إذ أصبح الأمويون بعد التوسع الضخم والفتوحات مجبرين على إدارة تلك الممتلكات في المدن ومن المدن، وفي الوقت ذاته كانوا بحاجة الى تلك القبائل التي تسكن الصحراء والبوادي لجعلهم في جانبهم.

كان الأمويون أيضاً يتوقون الى الرجوع للعيش في الصحراء كما نشأوا وللتوفيق بين هذا الحنين والواقع الإداري، اكتفوا ببناء القصور البعيدة التي يستطيعون الانسحاب اليها عدة مرات في السنة وفي أحوال مناخية مختلفة لممارسة الصيد والاستجمام.

كانت عنجر، لوفرة مياهها وواقعها المهم على خريطة دول المنطقة مكاناً مواتياً للأمويين، كما كانت فيها أشغال مائية مهمة حيث تخزن المياه في خزان مفتوح ومنه تجر بواسطة قناة، وكانت المياه تدير طاحونة وتستخدم لدى السهول المتاخمة بواسطة قنوات، ويقول سوفاجيه في دراسته ان كافة المنشآت الأموية ترجع الى نمط واحد ثابت: قصر يحيط به تجمع سكني واستثمار زراعي.

ان كثرة المحال التجارية في عنجر (حوالي 600 محل) تدل على أن الاستثمار الزراعي وغيره كانا مهمين بامتياز فيها وان هذه المدينة تختلف عن المنشآت الأموية الأخرى.

الدلالة على أهمية عنجر وقوع عدد من المعارك المهمة على ساحتها أهمها موقعة الأمير فخر الدين الثاني ضد مصطفى باشا عام 1623، ومعركة شمس الدولة شقيق صلاح الدين ضد الفرنجة عام 1176، 1177 ومعركة الاتابك تاج تاكين السلجوقي ضد الفرنجة عام 1114، ويذكر التاريخ ان الخليفة الأموي مروان الثاني دمر مدينة عنجر بعد تغلبه على الوليد الثاني سنة 744 وهذا يدل على مدى ما كانت تتمتع به المدينة من أهمية أدت الى تدميرها.

عناوين متفرقة

3

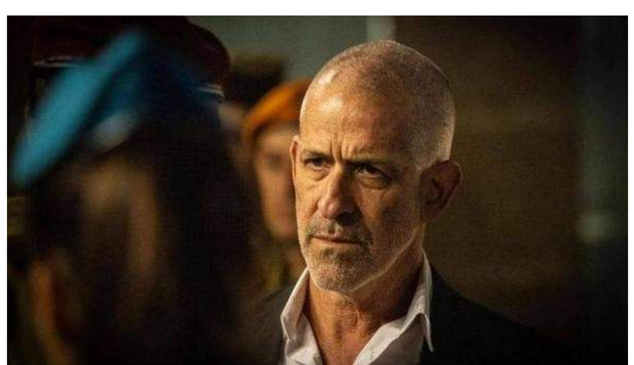
4 براءة التكنولوجيا

المزيد من الأخبار



العالم

وسائل إعلام: ترامب يدرس شن حرب على المخدرات في المكسيك



العالم

المحكمة الإسرائيلية العليا تدعو الى «تسوية» في قضية إقالة رئيس الشاباك



رياضة عربي

المدير التنفيذي لنادي الهلال يتوقع لقاء مثيراً أمام ريال مدريد



أخبار من الإمارات

محمد بن زايد يؤكد أهمية ترسيخ القيم الإنسانية وتعزيز ثقافة التضامن



أسواق عالمية

الصين تطلب إجراء مشاورات في منظمة التجارة العالمية بشأن الرسوم الأمريكية



العرب

الديوان الملكي السعودي يعلن وفاة الأمير عبدالله بن مساعد آل عبدالرحمن



العرب

قوات إسرائيلية تقتل محامية فلسطينية في الضفة الغربية



العرب

الخارجية السورية تبدأ هيكلة بعثاتها الدبلوماسية

شارع الخان، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص.ب. 30

هاتف 0097165777777